على غرار النموذج الألماني

الكثير من الشباب الأردني غير قادرين على العثور على وظيفة

كامبوس – صحيفة فرانكفورتر العامة

بقلم أنيكا بروم – عمان

تعتمد الجامعة الألمانية الأردنية على نموذج عملي لجذب الشباب إلى سوق العمل المحلي والعالمي.

أنهت ديمه المراد دراستها في مجال تكنولوجيا الاتصالات في الجامعة الألمانية الأردنية، فحصلت مباشرة على فرص عمل في السوق المحلي، إذ قامت بعض الشركات بالتواصل معها لمعرفة ما إذا كانت ترغب في الحصول على وظيفة، إلا أن "المراد" رفضت ذلك وغادرت الشرق الأوسط لمدة عام. وأشارت "المراد": "لقد كان لدي توقعات جيدة بالفعل هنا في الأردن"، وهو ما جعل منها استثناءً إحصائياً من ثلاث نواحٍ.

في الحقيقة، لقد كانت فرصها الوظيفية، بالنسبة لفتاة ذات مؤهلٍ عالٍ ضعيفة للغاية. إذ يوجد في الأردن أحد أعلى نسب البطالة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وفي الوقت ذاته، فإن نسبة حصول الإناث على عمل هي واحدة من أدنى النسب في العالم. حيث إن هناك واحداً من كل خمسة مواطنين لا وظيفة له في المملكة تقريباً. ويعد الشباب الأردني من أكثر الفئات تأثراً في ذلك. وبحسب معلومات دائرة الإحصاءات الأردنية، فإن ما يقارب نصف الفئة العمرية - حتى 24 عاماً - يبحثون عن عمل. حتى إن شهادات التعليم العليا لا تزيد من فرص الحصول على عمل. ويحتاج خريجو الجامعات بعد تخرجهم إلى ثلاث سنين في المتوسط، لكي يتمكنوا من الوصول إلى سوق العمل. لكن الأمر مختلف في الجامعة الألمانية الأردنية، التي درست فيها "المراد"، فوفقاً لما صرحت به إدارة الجامعة، فإن تسعة من كل عشرة من خريجي الجامعة يجدون وظيفة خلال ستة أشهر من التخرج، فما السبب وراء ذلك؟

من كان يرغب في معرفة ذلك، ينبغي عليه الذهاب إلى مأدبا، فتعد تلك المدينة الأردنية الصغيرة التي تقع إلى الجنوب من عمان نقطة ساخنة للسياحة المسيحية، حيث تجذب الفسيفساء والكنائس البيزنطية السياح من جميع أنحاء العالم. كما تعد مأدبا منذ بضع سنوات نقطة تجمع للكفاءات المتخصصة من الشرق الأوسط. في هذه المدينة يتلقى ما يقارب خمسة آلاف من طلاب الجامعة الألمانية الأردنية تعليمهم. ويسعى الكثير منهم إلى العمل في مجال الهندسة أو تكنولوجيا المعلومات، بينما يود الآخرون العمل في مجال تكنولوجيا البيئة، وإدارة الأعمال، والخدمات اللوجستية واللغة الألمانية بصفتها لغة أجنبية.

في صباح يوم الأحد الدافئ هذا، لا يُر في الحرم الجامعي سوى البعض من موظفي الأمن. ويجلس الطلاب منذ الصباح الباكر في مجموعات صغيرة في قاعات المحاضرات أو المختبرات. ويبدو جدولهم الدراسي ضيقاً جداً. وتسود هنا أجواء مألوفة؛ حيث يعرف الناس بعضهم بعضا بالاسم الأول. وكما عبرت "المراد": "يجب على من يقرر الدراسة في الجامعة الألمانية الأردنية أن يكون ملتزماً التزاما شديدا".

تفتخر الجامعة الألمانية الأردنية باتخاذها نهجاً "عالمياً فريداً من نوعه"؛ فمنذ تأسيسها عام 2005، فإنها تتبع نموذج الكليات المهنية الألمانية، وبمعنى آخر: الأسلوب العملي هو الأولوية الأولى في التعليم. وهذا يُتطلب من الطلاب الكثير. فإلى جانب دراستهم المنتظمة، يجب عليهم تعلم اللغة الألمانية، فتهدف مساقات اللغة الألمانية إلى تحضير الطلاب إلى سنة التبادل الإلزامية في ألمانيا، في هذه السنة الإلزامية، يدرس الطلاب في إحدى الجامعات الـ120 الشريكة للجامعة الألمانية الأردنية، ويتبع ذلك تدريب عملي في شركة من اختيارهم، يقول راينر فنكلداي - نائب رئيس الجامعة الألمانية الأردنية للشؤون الدولية -: "لقد كانت القابلية للتوظيف محور اهتمامنا منذ البداية"، وبتعبير آخر: يهدف هذا النظام إلى ضمان إمكانية انتقال الخريجين إلى سوق العمل بنجاح.

عادت "المراد" بعد بضع سنوات من تخرجها إلى الجامعة الألمانية الأردنية، حيث تعمل منذ ذلك الوقت في عمادة الابتكار ونقل التكنولوجيا والريادة بصفتها منسقة للدراسات الثنائية. وفي الوقت نفسه تعمل كمرشدة للطلاب. ويبدو عليها الحماس في العمل في برنامج الدراسة الثنائية، يتحدث الطلاب عن "الدعم الشخصي في الحرم الجامعي" و"السمعة الطيبة للجامعة الألمانية الأردنية". أي شخص قام بزيارة ألمانيا من قبل يعجب بتلك التجربة. لقد أمضت "المراد" السنة التبادلية في مدينة بريمن. وكما تقول: "فقد كان لهذه الفترة دور قوي في دفع حياتها المهنية إلى الأمام. أما الطلاب الذين لم يبدأوا سنتهم التبادلية بعد، فهم يتطلعون إليها بشوق"، ويقول أحد الطلاب: "أشعر بالفضول حيال كل الفرص التي سأحصل عليها في ألمانيا".

يمتد حلم العيش في الخارج إلى ما بعد السنة التبادلية، فيفضل ثلاثة من أصل كل خمسة طلاب العيش والعمل في ألمانيا بعد تخرجهم. وعند سؤالهم عن السبب وراء ذلك، فتسمع كلمات مثيرة للاهتمام مثل: "تحديات جديدة" و"وجهات نظر أكثر"

و"جودة حياة أعلى". وتظهر دراسة استقصائية أجراها معهد الباروميتر العربي للبحوث نتائج مماثلة، وعليه، فإن أكثر من نصف النخبة الأردنية المتعلمة تتطلع إلى الحياة بعيداً عن الوطن.

في النهاية، يتمكن عشرة بالمائة فقط من خريجي الجامعة الألمانية الأردنية من الانتقال إلى ألمانيا. كذلك فإن الطلب على الوظائف في دول الخليج العربي الثرية، مثل الإمارات العربية المتحدة مرتفع أيضاً؛ ولأن الدول الأجنبية تجذب الأشخاص من خلال الآفاق الفضلى والأجور العليا التي توفرها، فيخسر الأردن قواه العاملة ذات المؤهلات العالية، يقول فنكلداي:" إن الخوف مما يدعى "هجرة الأدمغة" لم يكن موجوداً بهذا المستوى في البلاد قط، لقد قام الملك عبد الله الثاني شخصياً بدعم مشروع الجامعة بصفته راعياً لها منذ البداية".

يواجه الأردن مشاكل هيكلية عميقة، حيث تعاني البلاد من شح الموارد الطبيعية، وأما التطور الصناعي فيعد ضعيفاً، وبالتالي يعاني الاقتصاد منذ سنوات، يقول فنكلداي: "لن يكون البديل عن هجرة المواهب حصول الشباب الأردني على وظائف رائعة وكسب المال. وبدلاً من ذلك، فإنهم قد يغذّون المنافسة في سوق عمل غير قادر على استيعابهم على أية حال".

من ناحية أخرى، يمكن لأسر بأكملها أن تستفيد من الدخل من الدول الأجنبية، فيتحدث فنكلداي هنا عن وضع يربح فيه الجميع. فيجد خريجو الجامعة الألمانية الأردنية فرص عمل جاذبة، ويقومون بإرسال الأموال إلى الوطن. وفي المقابل، تكسب ألمانيا كفاءات متخصصة مطلوبة بشدة. ولم يكن هنالك برامج تستهدف سوق العمل الألماني بشكل مباشر من قبل. ولكن يجب أن يتغير ذلك الآن.

ابتداءً من تشرين الأول، ستقوم الجامعة الألمانية الأردنية بقبول الطلاب في تخصص التمريض. وكما هو الحال بالنسبة لجميع الطلاب، ستكون اللغة الألمانية من ضمن خطة التعليم الخاصة بهم. وبعد تخرجهم، سيكون حصولهم على فرصة عمل في ألمانيا أشبه بالأمر المؤكد. إلا أنه لا ينبغي توظيفهم لاحقاً كعمالة رخيصة، بحسب ما يوضح فنكلداي، ولكن "بانتظام وفقاً للقانون الألماني وفي ظروف عادلة". وإذا سار كل شيء وفقاً لما هو مخطط له، يمكن لقطاع الرعاية الصحية ملء بعض الشواغر البالغ عددها 1.8 مليون على الأقل بمساعدة الممرضين الأردنيين بحلول عام 2035". بالإضافة إلى ذلك، تريد الجامعة الألمانية الأردنية التركيز بشكل أكبر على مجال الطاقة المتجددة، مثل تكنولوجيا الهيدروجين، حيث من المقرر أن يبدأ برنامج الدراسة الذي تم استحداثه بالتعاون مع جامعة شفاينفورت في تشرين الأول كذلك. " لن يضطر الخريجون في مثل هذه التخصصات إلى القلق بشأن مستقبلهم" بحسب ما يقول فنكلداي. وينظر فنكلداي إلى الكفاءات المتخصصة الشابة باعتبارهم بناة جسور: يتحدثون العربية، والإنجليزية والألمانية بطلاقة. وعلاوة على ذلك، فهم على دراية بالأسواق والثقافات في كلا المنطقتين، وبالتالي يمكنهم التوسط بين المنطقتين.

إحدى بناة الجسور هي الطالبة آية عبد الله عبد الهادي الحراحشة البالغة من العمر 20 عاماً. تدرس آية تخصص "المحاسبة الدولية" في برنامج الدراسة الثنائية، حيث تدرس في الجامعة الألمانية الأردنية وتعمل في الوقت ذاته في الفرع الأردني لشركة النقل البحري Hapag-Lloyd التابعة لهامبورغ. وحسبما تقول الحراحشة: "إنها تريد أن تحصل على أفضل ما في العالمَين"، حيث تمكنها دراستها في هذا البرنامج اكتساب الخبرة العملية، في كل من وطنها وفي ألمانيا. أما عما تريد فعله بعد ذلك؟ فهو مساعدة الأردن في الازدهار مرة أخرى، وحسب قولها: "أعتقد أن هناك الكثير من الامكانيات غير المستغلة بعد هنا، ولا يتطلب الأمر سوى أشخاص راغبين في المضي قدماً".